التنمية المستدامة بين النظم الوضعية والمنظور الإسلامي

Sustainable Development Through Secular Law and Islamic Principles

الباحثة/ زينب عبد اللّه أحمد جميل(*)

ملخص البحث:

تتمثل الأهداف الأساسية للبحث في:

- المقارنة بين المبادئ البيئية للتنمية المستدامة فى النظم الوضعية والمبادئ الإسلامية لرعاية البيئية.
- تحفيز المشاركة التطوعية للفرد باستخدام الوعي بالمسئولية الدينية تجاه البيئة.

وكانت النتائج كالتالى:

- إثبات صحة الفرض الرئيسى وقد تبين أن المبادئ البيئية فى النظم الوضعية تمثل فقط جزءاً من المبادئ الإسلامية لرعاية البيئة .
- فعالية التطبيق العملى للمبادئ الإسلامية لرعاية البيئة والقصور الذى يواجه المبادئ البيئية الوضعية.
- وجود مؤسسات إسلامية تمثل الصور العملية للالتزام البيئى مثل: مؤسسة الخلافة والقضاء والحسبة وكذلك مؤسسة الفتوى والإرشاد الدينى.
- أن حد التنمية في المجتمعات الحالية حد غير مقبول أي تنمية غير مستمرة لاتتوافق مع الحد الأدنى من المبادئ البيئية طبقا لمفهوم النظم الوضعية.
- أن المبادئ الإسلامية الإرشادية لرعاية البيئة تحقق تنمية مستمرة متميزة، المبادئ الإسلامية الإلزامية لحماية البيئة تحقق تنمية مستمرة فى اتجاه التميز. بينما المبادئ البيئية فى النظم الوضعية تحقق تنمية مستمرة مقبولة.

(*) الجامعة: كلية التجارة – قسم إدارة أعمال – جامعة عين شمس الدرجة العلمية: حاصلة على ماجستير إدارة الأعمال – ومسجلة للحصول على درجة الدكتوراه، البريد الإلكترونى: eozls@yahoo.com

المقدمة:

الظروف التي يعيشها العالم بوجه عام والمنطقة العربية بوجه خاص دفعت الكثيرين إلى عدم الإيمان بمصداقية المعاهدات الدولية بل وعدم التزام الدول المتقدمة بها حتى بعد توقيعها بمجرد تعارضها مع أحد مصالحها ولذلك توضح هذه الدراسة كيف يمكن للمنظور الإسلامى من خلال مبادئه الإلزامية والإرشادية.

المبادئ الإلزامية تمثل الحد الأدنى الذى يجب على كل مسلم الالتزام به ويأثم تاركه، بينما تمثل المبادئ الإرشادية الحد الأعلى الذى ترتفع به درجة الإيمان ويجازى المسلم عليه بالإحسان ولا يأثم تاركه، حل المشكلات البيئية والدولية وبناء عقيدة للفرد فعالة فى تطبيقها بما يفوق المعاهدات والاتفاقات الدولية.

مشكلة البحث:

١- عدم الالتزام بالمبادئ الإسلامية لرعاية البيئة.

٢- عدم وجود وعي بالمسئولية الدينية تجاه البيئة لدي الأفراد.

أهداف البحث:

يتمثل هدف البحث فى الآتي:

❖ مقابلة المبادئ البيئية فى النظم الوضعية بالمبادئ الإسلامية لرعاية البيئة ومدي فعالية كل منهما في التطبيق العملي.

الفرض الرئيسى للبحث:

لا توجد اختلافات جوهرية بين المبادئ الإسلامية لرعاية البيئة وبين المبادئ البيئية الدولية لحماية البيئة.

ويناقش البحث العناصر التالية:

- مفهوم التنمية المستدامة.
- المبادئ الدولية لتحقيق التنمية المستدامة.
- المبادئ الإسلامية التى تقابل المبادئ الدولية لحماية البيئة.

- التنمية المستمرة فى المنظور الإسلامى.
- فعالية التطبيق للمبادئ البيئية بين النظم الوضعية والمنظور الإسلامى.
- النتائج.
- إثبات الفرض الرئيسى تحليلياً باستخدام الرسوم البيانية وخرائط التدفق.

أولا: ١/١ مفهوم التنمية المستدامة

Sustainable Development[1]

«هى التنمية التي تُلبي احتياجات الحاضر بدون التعدي على قدرة الأجيال القادمة في الحصول على احتياجاتهم للتنمية» (WCED. 1987, 3)[٢] وهو ما يعني التوازن بين متطلبات التنمية الحالية وبين حماية البيئة باستخدام الإدارة البيئية لمشروعات التنمية للحد من الآثار السلبية لها على البيئة.

٢/١ أسس الحفاظ على استمرار البيئة:

يقرر (Herman Daly، ١٩٩٤) ثلاثة أسس تضمن استمرار البيئة هي:

١- عدم زيادة معدل استهلاك الموارد المتجددة عن معدل تجددها الطبيعي.
٢- عدم زيادة معدل استهلاك الموارد غير المتجددة عن الاحتياجات الضرورية فقط.
٣- عدم زيادة معدل الانبعاثات الملوثة للهواء عن قدرة البيئة على امتصاصها.

٣/١ أهم المبادئ الدولية لحماية البيئة :(تهدف إلى تحقيق التنمية المستدامة)

هى المبادئ التى اعتمدتها قمة الأرض، والتي عقدت في ريو دي جنيرو باعتبارها الأساس الذي تقوم عليه السياسة البيئية للحد من أخطار البيئة. Earth

(1) Tietenberg. Tom, Environmental Economics and Policy Addison Wesley 2001.
(2) Dennis Rsasseville, W.Gary Wilson, Robert W.Lawson; ISO14000 Answer Book, Environmental Management for the World Market, Earthscan 1996, p.14.

Summit agenda 21...[1] وباستخدام رسوم التشابه Affinity diagrams تم تصنيف هذه المبادئ إلى ست مجموعات تمثل الأفكار الرئيسية التي تتضمنها هذه المبادئ كما في الشكل (١/١).

شكل رقم (١/١) العناصر الرئيسية للمبادئ البيئية الدولية

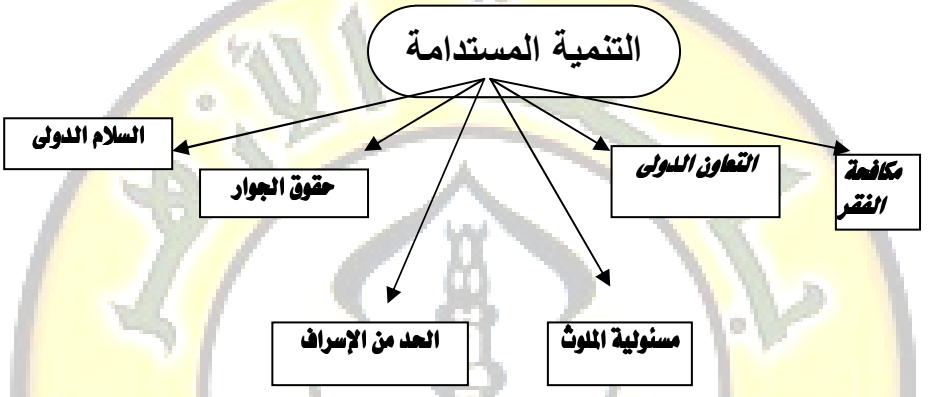

٢- المبادئ الإسلامية التى تقابل المبادئ الدولية لحماية البيئة:

١/٢ مبدأ مسئولية الملوث:

- المبادئ الإلزامية (الحد الأدنى):

يقرر النص القرآني ضرورة أداء أفراد المجتمع المسلم لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[2] وتتحقق خيرية المجتمع المسلم بالفرد فهو مسئول عن رفع الأذى إن استطاع ولو لم يتسبب هو فيه، كما أنه مسئول عن رفع الأمر إلى المسئولين حتى لو لم يصبه الأذى.

(1) geninfo/bp/enviro.html /www.un.org

(٢) سورة آل عمران، جزء من الآية ١١٠.

١- يربط الإسلام بين السلطة والمسئولية ففي الحديث «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»(١).

٢- ترتبط مسئولية الفرد عن تلويثه للبيئة بحقوق العباد والتي لا يكفرها الاستغفار فحسب بل يجب عليه إزالة هذا التلوث وهو ما نص عليه حديث النبي ﷺ «عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَامَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لا تُدْفَنُ»(٢) ولذلك فإن أي أذى للناس مثل النخامة (البصاق) هي تلوث لا يكفره إلا إزالته بدفنه بالتراب.

٣- قاعدة «الغنم بالغرم» وهى القاعدة الفقهية التى سبقت القوانين الوضعية فى فرض التعويض على من يلوث البيئة وعلاج آثار هذا التلوث.

- المبدأ الإرشادى (الحد الأعلى):

الربط بين العمل التطوعى و بالأجر العظيم فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ»(٣).

٢/٢ مبدأ مراعاة حقوق الجوار:

المبادئ الإلزامية (الحد الأدنى):

١- أن حق الانتفاع مقيد بما لا يضر بحقوق الآخرين للقاعدة الفقهية «لا ضرر ولا ضرار» فإذا تعارض حق التملك والانتفاع لفرد أو أفراد مع المصلحة العامة للمجتمع فإن المصلحة العامة هي التي تقدم مع تعويض المالك تعويضاً عادلاً.

٢- على المستوى الدولي يحرُم الإضرار بالموارد التي يشترك في الإفادة منها جميع

(١) متفق عليه عن ابن عمر. مسلم (١٨٢٩)
(٢) صحيح مسلم، رقم ٨٥٩
(٣) صحيح البخاري، رقم ٤٧٤٥.

الناس فهى ملكية مشتركة لحديث النبي ﷺ «الناس شركاء فى ثلاث الماء والكلأ والنار»[1].

١- يربط الإسلام بين الإيمان وبين حقوق الجار وفي الحديث عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره»[2].

٣/٢ مبدأ الحد من الإسراف:

المبادئ الإلزامية (الحد الأدنى):

١- تحريم التبذير بجميع صوره مهما كان المرء غنياً ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾[3].

٢- النهى عن البخل.

٣- فرض توفير حد الكفاية لكل فرد على الدولة المسلمة.

المبادئ الإرشادية (الحد الأعلى):

١- العدل و الاعتدال في كل أمر وعلى أي حال يقول تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[4].

٢- أن الإسراف هو سبيل الفساد في الأرض ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٥١ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾[5].

٣- يحق لكل إنسان توفير حاجاته الأساسية التي تمكنه من القيام بواجباته الأساسية بلا إسراف أو تقتير لحديث النبى ﷺ «من ولي لنا عملا فلم يكن له زوجة فليتزوج أو خادماً فليتخذ خادماً أو مسكناً فليتخذ مسكناً أو دابة فليتخذ دابة فمن أصاب شيئاً سوى ذلك فهو غال أو سارق»[6].

---

(١) رواه أبو داود فى سننه بسند صحيح.

(٢) متفق عليه، رياض الصالحين، ص:١٩٤-١٥٠

(٣) سورة الإسراء، جزء من الآية ٢٦

(٤) سورة الفرقان، آيه٦٧.

(٥) سورة الشعراء الآيات ١٥١أ١٥٢

(٦) مسند الإمام أحمد ٤/ ٢٢٩

٤- النهى عن الاستزاده عن الحاجة ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[١].

٤/٢ مبدأ التعاون الدولي:

المبادئ الإلزامية (الحد الأدنى):

١- يرى الإسلام أن التعاون الدولي ضرورة للبشر قبل أن يكون فرضاً دينياً حيث اقتضت حكمة الله أن توزع ثروات الأرض في جميع جنباتها بحيث يحتاج الناس إلى تبادل المنافع والخبرات فيما بينهم يقول تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[٢].

٢- الأمر بالعدل مع غير المسلمين حتى الأعداء منهم.

المبادئ الإرشادية (الحد الأعلى):

١- إباحة التعامل مع الذين يسالمون المسلمين والأمر ببرهم والعدل معهم يقول تعالى ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾[٣].

٢- عظم قيمة التعاون قال النبي ﷺ عنه «الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»[٤].

(١) سورة الأعراف، الآية ٣١.
(٢) سورة الحجرات، الآية ١٣.
(٣) سورة الممتحنة، الآية ٨.
(٤) صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء ٤/ ٢٠٧٤

٥/٢ مبدأ مكافحة الفقر

وضع الإسلام خطته العملية في مواجهة الفقر بتوفير ثلاثة محاور (المبادئ الإلزامية الحد الأدنى). لمحاصرة مشكلة الفقر وهي[١] (أبو شبانة، ١٩٩٨):

١- جعل الأصل أن يكون الإنسان القادر على الكسب صاحب عمل لذلك أوجب على الدولة الإسلامية توفير فرص العمل المناسبة لرعاياها وإعانتهم على كسب الحلال وهو ما يتضح من الحديث الذي رواه أنس بن مالك الأنصاري ﷺ قال جاء رجل من الأنصار ليسأل النبي ﷺ الصدقة فقال النبي «أما في بيتك شيء» قال: بلى حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب نشرب فيه الماء فقال النبي «ائتني بهما» فأتاه بهما فأخذهما رسول الله ﷺ وقال: «من يشتري هذين» فقال رجل: أنا آخذهما بدرهم فقال النبي «من يزيد على درهم» مرتين أو ثلاثاً فقال رجل: أنا آخذها بدرهمين فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري وقال: «اشتر بأحدهما طعاماً وانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدوماً فأتني به» فشد فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده ثم قال له «اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوماً» فذهب الرجل يحتطب ويبيع فجاءه وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً فقال رسول الله ﷺ «هذا خير لك من أن تجيئ المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة لذي فقر مدقع أو لذي غرم مفظع أو لذي دم موجع»[٢]. أي لذي فقر شديد جداً أو لذي دين كبير لا يقدر عليه أو الذي عليه فدية (كالقاتل خطأ عليه دفع فدية) لا يقدر عليها، وبهذا فقد تدرج في علاج مشكلة السائل بأن:

- أخذ بيده في حل مشكلته بنفسه وعلاجها بطريقة ناجحة.
- ولم يعالجها بمجرد المعونة المؤقتة أو الوعظ.

(١) ياسر أبو شبانه: النظام الدولي الجديد بين الواقع الحالي والتصور الإسلامي، دار السلام ١٩٩٨ ص ٦٢٥ ـ ٦٢٧

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة، باب ما تجوز فيه المسألة ٢/ ١٢٣ ـ ١٢٤ (١٦٤١).

- أعطاه خمسة عشر يوماً ليرى إن كان العمل يناسبه.
- ثم بعد الحل العلمي لمشكلته أوضح له الحدود التي يجوز في دائرتها المسألة.

٢- إذا لم يستطع الإنسان العمل (كأن يكون عاجزاً لا يقدر على العمل) فقد أوجب الإسلام على الموسرين من أقارب المعسر كفالته والإنفاق عليه: يقول تعالى ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[١].

٣- إذا لم ينجح هذان الطريقان يأتي دور المجتمع من خلال بيت المال بمصادره المتعددة، فقد جعل الإسلام التكافل بين أفراد المجتمع المسلم فريضة فقال النبي ﷺ «إن الله فرض على أغنياء المسلمين من أموالهم بالقدر الذي يسع فقرائهم (أي ما يحتاج إليه الفقراء) ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما صنع أغنياؤهم، ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً ويعذبهم عذاباً أليماً»[٢].

٤- التزام الدولة الإسلامية بكفالة غير القادرين من غير المسلمين، فقد ذكر الإمام أبو يوسف في الخراج أن عمر بن الخطاب رأي شيخاً ضريراً يسأل الناس الصدقة فعلم أنه يهودي فقال: ما ألجأك إلى ما أرى قال اليهودي: «الجزية والحاجة والسن» فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فأعطاه ما يكفيه ساعتها وأرسل إلى خازن بيت المال «انظر هذا وضرباءه (أمثاله) فو الله ما أنصفناه أن أكلنا شيبته ثم نخذله عند الهرم ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ وهذا من مساكين أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية»[٣].

المبدأ الإرشادى (الحد الأعلى):

الصدقات التى ترتبط بالأجر العظيم و تجوز على المسلم وغير المسلم وتفوق فى أثرها عن المساعدات الدولية لارتباطها بعقيدة المسلم.

(١) سورة الأنفال، جزء من الآية (٧٥)
(٢) رواه الطبراني وابن حزم. رواه الطبراني في الأوسط والصغير عن علي بن أبى طالب.
(٣) ياسر أبو شبانة، مرجع سابق ص٦٢٩.

٦/٢ مبدأ السلام الدولي

المبادئ الإلزامية (الحد الأدنى)[١]:

أولا: ترسيخ مبدأ الإخاء البشري والمساواة الإنسانية يقول تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾[٢] وبذلك فقد وضع الله المعيار الذي يتفاضل به الناس وهو التقوى وبذلك جعل سائر الاختلافات كاللون والجنس والموارد .. إلخ مدعاة للتعاون وليس للخلاف.

ثانيا: تحريم الأسباب المؤدية إلى النزاعات والحروب مثل:

١- التعصب للجنس وتقديس الأمة: حارب الإسلام كل ذلك فيقول النبى ﷺ «من قاتل تحت راية عصبية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة، فقتل؛ فقتلة جاهلية»[٣].

٢- السيطرة واستغلال مقدرات الشعوب: وقد حارب الإسلام الحروب التي تقوم من أجل الاستغلال والسيطرة فجعلها من الإثم والبغي بغير الحق، فقد أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز بأن يخرج جيش قتيبة بن مسلم الباهلي من مدينة سمرقند وذلك بعد أن سيطر عليها تمامًا لأن الجيش دخلها بدون تخيير أهلها وعرض الإسلام عليهم أو الجزية وإمهالهم لدراسة كتاب الله، وقد فعل الجيش ذلك خشية أن يدخل الشتاء فلا يتمكنوا من فتحها، فقد قال النبي ﷺ «من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين»[٤].

٣- يحرم على المسلمين نقض عهدهم سواء لأن مصلحتهم تقتضي ذلك أو لأنهم

(١) المرجع السابق صـ ٦٠٢ـ ٦١٥

(٢) سورة الحجرات جزء من الآية رقم ١٣

(٣) رواه مسلم: كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ٩/ ١٤٧٦ (٥٧-١٨٤٨).

(٤) صحيح البخاري: كتاب المظالم، باب إثم من ظلم شيئًا من الأرض (٥/ ١٢٣ (٢٤٥٢)، صحيح مسلم: كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها ٣/ ١٢٣١ (١٤٠ - ١٦١٠).

في موقف قوة يتيح لهم ذلك يقول تعالى ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾(١).

٤ـ السعي وراء حروب لا طائل منها سوى إشباع الرغبة في تمجيد الذات لذلك قال تعالى ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾(٢).

٥- الجدال الديني المذموم: لما فيه من إثارة لغيرة كل فرد على دينه لذلك يقول تعالى ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾(٣).

ثالثاً: العقيدة الصحيحة للفرد والمجتمع: بناء العقيدة الصحيحة من خلال:

- مراقبة الله بالبعد عن الغش والعدوان بغير الحق والالتزام بالخلق الحميد.
- التزام المجتمع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يجد الظالم من يرده، ويجد الخيِّر من يحثه عليه ويعلي قدره.

رابعاً: السلام هو أصل العلاقة بين الدولة الإسلامية وغيرها: جعل الإسلام السلام هو أصل العلاقات الدولية:

- الميل إلى السلم أي المصالحة وقبولها يقول تعالى ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ

(١) سورة النحل / الآية ٩١
(٢) سورة الأنفال آية ٤٧.
(٣) سورة النحل / آية رقم ١٢٥.

لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1]، وفي الحديث يقول النبى ﷺ «يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا»[2] فالمسلم بمقتضى هذا الحديث ليس عدوانياً بطبعه فهو ينتهز أي فرصة لحل القضايا بطرق سلمية[3]، فالجهاد في المنهج الإسلامي مقيد بوجود حالة اعتداء سواء كان اعتداءً على دولة مسلمة أو على العقيدة الإسلامية أو على شعب مظلوم، مسلماً كان أو غير مسلم[4].

ثالثا: التنمية المستمرة فى المنظور الإسلامى:

أوضح المنظور الإسلامى أن استمرار التنمية يعتمد على ثلاثة عقائد رئيسية تمثل ركائز لاستمرار التنمية هى:

١ــ الملكية (حق انتفاع لجلب منفعة ودفع مضرة):

تختلف الملكية فى المنظور الإسلامى عنها فى النظم الوضعية وتصبح حق انتفاع (لأن كل ما فى الأرض ملك لله وحده والإنسان منتفع بها) ويترتب على هذا المفهوم:

أ- عدم حرية الإنسان فى التصرف فيما يملك (حتى فى نفسه) إلا فى إطار الانتفاع لنفسه ولغيره وبما لا يضر بالصالح العام للقاعدة الفقهية لا ضرر ولا ضرار.

ب- يتوقف حق الانتفاع على العمل الذى يعد سببا للتملك والانتفاع[5] حيث يختلف العمل فى المنظور الإسلامى عنه فى القانون الوضعى، فالعمل فى القانون الوضعى هو حق لكل إنسان يجب توافره سواء استخدمه أم لا، بينما فى المنظور الإسلامى هو فرض على كل مسلم قادر على العمل ومن أمثلة ذلك:

(١) سورة الأنفال/ آية ٦١

(٢) مسلم: ك: الجهاد ب: كراهية تمني لقاء العدو ٣/ ١٣٦٢٣ (١٧٤٢)، البخاري: ك: الجهاد ب: كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس ٦/ ١٤٠ (٢٩٦٦)

(٣) ياسر أبو شبانة، مرجع سابق ص ٦٤.

(٤) المرجع السابق ص ٦١٨.

(٥) محمد نصر عارف، أخطار البيئة والنظام الدولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٨ ص ١٣٢.

- الإقطاع: وهو إقطاع الإمام لشخص أحد مصادر الثروة للعمل فيها.

فقد ورد عن الحارث بن بلال أن النبى ﷺ (أعطي لبلال منطقة العقيق فلما كان زمان عمر بن الخطاب قال لبلال: أن رسول الله ﷺ لم يقطعك لتحجزه عن الناس وإنما أقطعك لتعمل فخذ منها ما قدرت على عمارته ورد الباقى»[1].

- إحياء الموات: عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال: «من أحيا أرضاً ميتةً فهى له»[2].

٢-الوسطية فى (الإنتاج والاستهلاك):

الاعتقاد بأن الموارد تكفى احتياجات البشر وكل الكائنات ولكن النهم البشرى هو الذى يسبب الخلل فى قدرة الموارد على التجدد الذاتى وهو ما نص عليه القرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾[3] يترتب على الأساس السابق:

أن الإنتاج والاستهلاك يتم وفقا للضوابط الآتية:

١- الالتزام بضروريات الفرد والمجتمع التى حددتها الشريعة (حفظ الدين، النفس، العقل، النسل، المال)، فالإنتاج لابد أن يغطى هذه الضروريات الخمس ثم ينتقل إلى الحاجيات فالتحسينات.

٢- الإنتاج بغرض إشباع ضروريات المجتمع المسلم، ولا يتم الإنتاج بغرض الترف أو الرفاهية ليس لأن الموارد محدودة ولكن لأن هذا هو أحد صور التبذير ﴿إِنَّ

(١) يوسف القرضاوى، مرجع سابق ص ٧٣.
(٢) رواه أبو داود فى سننه برقم (٣٠٧٣) الترمذى وقال حسن غريب برقم (١٣٧٨).
(٣) سورة فصلت الآيات ٩، ١٠

ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾[1] والأمر هنا للجميع أغنياء وفقراء.

٣- أن تظل حاجات المسلم نابعة من معطيات بيئته لأن الاستهلاك ليس غاية (كما يروج لها فى وسائل الإعلام حيث تفرض السلع على المستهلك قبل وجود الحاجة إليها).

٤- إذا ما تم إشباع الضروريات يتم الانتقال إلى الحاجيات والتحسينات، وذلك لمشروعية التمتع بالزينة والطيبات من الرزق بدون إسراف أو تبذير.

٥- ولايعنى ذلك تحريم التمتع بالطيبات ولكن وفقا للتدرج السابق فالأولى إشباع الضروريات ثم التحسينات.

٣- محدودية البقاء وعمل لبقاء دائم:

هذه العقيدة هى محور الفرق بين علاقة المسلم بالبيئة وعلاقة غيره بها:

- فهو يعتبر ملكيته للأشياء «حق انتفاع» لإيمانه بأن مهمة استخلافه فى الأرض تقتضى تحقيق النفع فيها خلال بقاءه فى الأرض.
- يتعامل مع كل شيء بوسطية طبقا للمنهج الذى وضعته الآية الكريمة ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[2].

ينتج عن هذا المفهوم استمرار التنمية حيث يحقق هذا المنهج مراعاة حقوق الأجيال القادمة ورعاية الموارد فقد كان الصحابى الجليل أبو الدرداء ﷺ يغرس شجرة جوز فقيل له: أتغرس هذه وأنت شيخ كبير وهى لا تثمر إلا فى كذا وكذا عاماً فقال أبو الدرداء: ما على أن يكون لى أجرها ويأكل منها غيرى[3].

(١) سورة الإسراء الآية ٢٧ (٢) سورة القصص آية ٧٧.

(٣) يوسف القرضاوى، مرجع سابق ص ٦٢.

رابعاً: فعالية التطبيق للمبادئ البيئية بين النظم الوضعية والمنظور الإسلامى

١/٤ فعالية التطبيق فى القوانين والوضعية والأثر على سلوك الفرد:

أن القوانين الوضعية حتى الآن لم تستطع أن تحقق فعالية التطبيق للأسباب التالية[١]:

١- صعوبة تحديد المسئولية البيئية:

يصعب تحديد هوية المسئول عن النشاط الذى أحدث أضراراً بيئية (أشخاص أم دول) مما يؤدى إلى رفض الدعوى وضياع حقوق ضحايا التلوث البيئى.

٢- صعوبة تحديد الضرر الموجب للمسئولية:

لأن الضرر البيئى لا يتحقق دفعة واحدة بل يستغرق فترات طويلة نسبيا حتى تأخذ أعراضه فى الظهور بعد درجة تركيز معينة فى البيئة.

٣- الضرر البيئى قد يكون غير مباشر:

فقد يؤدى إلقاء المخلفات الصناعية فى قنوات الرى إلى تسمم المحاصيل ومن ثم المواشى ... الخ. هذا التسلسل يؤدى إلى صعوبة إثبات علاقة السببية.

٤- أنها غالباً غير مرئية (صعوبة قياسها):

هذا يجعل القضاء يرفض غالباً الحكم بالتعويض لأنها أضرار غير مرئية يصعب تحديد مضارها (مثل انصراف المصطافين عن الشاطئ الملوث).

٥- عدم ملائمة طريقة إصلاح الضرر طبقا للقانون:

يترتب على ثبوت المسئولية عن الضرر الالتزام بإصلاح الضرر بأحد أمرين:

- إعادة الحال إلي ما كان عليه قبل وقوع الضرر.

(١) أحمد عبد الكريم سلامة، نظام حماية البيئة بين التشريع الإسلامى والتشريع الوضعى، دار النهضة العربية ٢٠٠٣ ص ٣٤٦-٣٥٩.

- دفع تعويض نقدى للمضرور.

والضرر البيئى لا يصلحه إلا إعادة الحال إلى ما كان عليه، خاصة مع صعوبة تحديد التعويض اللازم وحتى إذا تم تحديده فسيصعب تحديد المتضرر.

٦- عدم تحديد من صاحب المصلحة فى رفع دعوى ضد من يسيئون إلى البيئة:

حيث إن الموارد هى ملكية مشتركة للإنسانية، فمن هو ممثل الإنسانية فى الحفاظ على عناصر البيئة ضد من يضرون بها. وتنص الأحوال العامة للقانون الإجرائى على أنه (لا تكون الدعوى مقبولة ما لم يكن لصاحبها مصلحة مباشرة) لذلك فإن مجرد المصلحة العامة فى الحفاظ على البيئة لا يعد أساساً قانونياً لقبول الدعوى. يترتب على ذلك أنه إذا حدث تلوث للهواء والأنهار فليس هناك اعتداء على حق محدد لشخص معين يستتبع توافر الصفة القانونية له فى تحريك الدعوى ضد من مارس النشاط الملوث.

مثال: قامت كل من استراليا، نيوزيلندا برفع دعوى قضائية ضد فرنسا وطالبا بتعويض عن الأضرار التى لحقت البيئة البحرية من جراء تجارب فرنسا النووية فى جنوب المحيط الهادى عام ١٩٧٣م، تم رفض الدعوى حيث قال القاضى De Castor «المدعى ليس له أية صفة قانونية تسمح له بأن يتصرف باسم المجتمع الدولى ويطلب من المحكمة أن تدين سلوك فرنسا»[١].

٢/٤ فعالية التطبيق فى المنظور الإسلامى للاستخلاف: هو جوهر استمرار التنمية:

يضع المنظور الإسلامى مجموعة الأصول (المبادئ) الإسلامية التى تكون بمثابة موجهات لسلوك الفرد تمكنه من تحقيق وظيفته الإستخلافية فى الأرض. وهى تمتاز بما يلى:

(١) المرجع السابق ص٣٥٥.

١- ثبات مصادرها : (القرآن الكريم، السنة، الفقه).

٢- ارتباطها بعقيدة المسلم.

٣- القابلية للتطبيق العملى لأنها تخاطب الإنسان بنقائصه ومزاياه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[١].

٤- السبق الزمنى للمبادئ الإسلامية قبل أربعة عشر قرنا من الزمان فى حين لم تتم المطالبة بالمبادئ البيئية فى النظم الوضعية إلا فى النصف الثانى من القرن العشرين.

٥- أنها تضع المبادئ العامة، بينما تترك التنفيذ فى الواقع المتغير لاجتهاد العقل فى إطار المصلحة الشرعية (مصلحة العباد وفقا للحق وليس الهوى).

٦- اعتمادها على المنهج الوقائى فى رعاية البيئة لحديث النعمان بن البشير ﷺ أن النبى ﷺ قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا. فإن يتركوه وما أرادوا هلكوا جميعا وإن اخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»[٢] وهذا هو المقصود من القاعدة الفقهية (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح).

٧- تقريرها لمبدأ المسئولية الفردية عن التلوث فى قاعدة (الغنم بالغرم) وكذلك المسئولية تجاه المجتمع فى القاعدة (لا ضرر ولا ضرار).

٨- فى حالة الضروريات فإن «الضرورة تقدر بقدرها» بحيث يتم منع استخدام كل ما يثبت أن مفاسده أكبر من منافعه للقاعدة «لا يدفع الضرر بمثله أو بضرر أكبر منه».

(١) سورة الملك الآية ١٤.

(٢) صحيح البخارى، كتاب الشركة رقم ٢٤٩٣.

خامسا: النتائج:

يتضح مما سبق أن المنظور الإسلامى يحقق:

- **خلق الرقابة الذاتية والعمل علي تشجيع وحفز المشاركة التطوعية للفرد فى حماية البيئة باستخدام الوعي بالمسئولية الدينية تجاه البيئة.**
- **ربط الأداء بدرجة الالتزام البيئي داخل الفرد و المجتمع.**
- **خروج المسئولية البيئية عن إطار العمل التطوعي إلى الواجب الذي يأثم ويعاقب من تركه.**
- **إثبات صحة الفرض الرئيسى وقد تبين أن المبادئ البيئية فى النظم الوضعية تمثل فقط جزءاً من المبادئ الإسلامية لرعاية البيئة . (وهذا هو ما يوضحه ملحق الأشكال البيانية)**
- **وجود مؤسسات إسلامية تمثل الصور العملية للالتزام البيئى مثل: مؤسسة الخلافة و القضاء والحسبة وكذلك مؤسسة الفتوى والإرشاد الدينى.**
- **أن المبادئ الإسلامية الإرشادية لرعاية البيئة تحقق تنمية مستمرة متميزة، المبادئ الإسلامية الإلزامية لحماية البيئة تحقق تنمية مستمرة فى اتجاه التميز. بينما المبادئ البيئية فى النظم الوضعية تحقق تنمية مستمرة مقبولة.**

مراجع البحث

أولاً: المراجع باللغة العربية:

١/١ الكتب:

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ النووى الدمشقى، الإمام أبى زكريا يحي بن شرف، رياض الصالحين، دار الأقصى، ١٩٩٠.

٣ـ سلامه، أحمد عبد الكريم، نظام حماية البيئة بين التشريع الإسلامى و التشريع الوضعى، دار النهضة العربية ٢٠٠٣.

٤ـ مطاوع، ضياء الدين محمد عطية، مواجهة الإسلام للتحديات المتصلة بالبيئة، رابطة الجامعات الإسلامية ٢٠٠٠.

٥ـ القرضاوى، يوسف، رعاية البيئة فى شريعة الإسلام، دار الشروق ٢٠٠٠.

٦ـ علوان، عبد الله ناصح، التكافل الاجتماعى فى الإسلام، دار السلام ١٩٨٣.

٧ـ أبو شبانه، ياسر، النظام الدولى الجديد بين الواقع الحالى والتصور الإسلامى، دار السلام١٩٩٨.

٨ـ السباعى، مصطفى، التكافل الاجتماعى فى الإسلام، دار الوراق ١٩٩٨.

٩ـ عارف، نصر محمد، نظريات التنمية السياسية المعاصرة، دار القارئ العربى ١٩٩٣.

١٠ـ الصعيدي عبد الحكم، عبد اللطيف، البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني، الدار المصرية اللبنانية١٩٩٦.

٢/١ الدوريات

١- دورية البيئة والتنمية، عدد مارس ٢٠٠١ «المدير التنفيذى لبرنامج الأمم المتحده كلاوس توبفر: من تعاليم الإسلام المحافظة على الأرض وتنوع الحياة فيها».

٢- دورية البيئة والتنمية، عدد مارس٢٠٠٢ «تناقص خطير في الثروات الطبيعية وتدهور مستمر للبيئة» .

٣/١ الرسائل:

١- رمال، عزيزة محمود ، القيم البيئية في الإسلام ودور التربية الإسلامية في تنميتها ، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الملك عبد العزيز ١٩٩٠ .

ثانياً: المراجع باللغة الإنجليزية

2/1 Texts:

1- Tietenberg. Tom, Environmental Economics and Policy Addison Wesley 2001.

2- Dennis Rsasseville, W.Gary Wilson, Robert W.Lawson; ISO14000 Answer Book, Environmental Management for the World Market, Earthscan 1996, p14.

Web sites; www.un.org/ geninfo/bp/enviro.html/

ملحق الأشكال البيانية

٤/٢ تقويم المبادئ البيئية الستة السائدة في النظم الوضعية في ضوء المبادئ الإسلامية الإلزامية و الإرشادية لرعاية البيئة.

١/٤/٢ إثبات الفرض الرئيسي :

« لا توجد اختلافات جوهرية بين المبادئ الإسلامية لرعاية البيئة و بين المبادئ البيئية الدولية» .

وسيتم اختبار هذا الفرض تحليليا و ليس إحصائيا باستخدام الرسوم البيانية وخرائط التدفق.

حيث إن :

المبادئ في النظم الوضعية S: Secular Law

المبادئ في المنظور الإسلامي I: Islamic Principles

وسوف يتضح من الرسوم البيانية التالية أن العلاقة بين المبادئ في النظم الوضعية و بين المبادئ في المنظور الإسلامي إما أن تكون :

المبادئ البيئية في النظم الوضعية هى جزء من المبادئ البيئية في المنظور الإسلامي $S \in I$ وفي هذه الحالة يتم رفض فرض العدم H_0 وقبول الفرض البديل H_1 : يوجد اختلاف جوهري بين المبادئ الإسلامية لرعاية البيئة و بين المبادئ البيئية الدولية.

المبادئ البيئية في النظم الوضعية تتقاطع مع المبادئ البيئية في المنظور الإسلامي $S \cap I$ وفي هذه الحالة يتم رفض فرض العدم H_0 وقبول الفرض البديل H_1 : يوجد اختلاف جوهري بين المبادئ الإسلامية لرعاية البيئة و بين المبادئ البيئية الدولية.

المبادئ البيئية في النظم الوضعية تتطابق مع المبادئ البيئية في المنظور الإسلامي $S \cup I$ وفي هذه الحالة يتم رفض الفرض البديل المبادئ الإسلامية لرعاية

البيئة H_1 وقبول فرض العدم H_0 : لا يوجد اختلاف جوهري بين المبادئ الإسلامية لرعاية البيئة وبين المبادئ البيئية الدولية.

المبادئ البيئية في النظم الوضعية تختلف عن المبادئ البيئية في المنظور الإسلامي $S \notin I$ وفي هذه الحالة يتم رفض فرض العدم H_0 وقبول الفرض البديل H_1 : يوجد اختلاف جوهرى بين المبادئ البيئية الدولية وبين المبادئ الإسلامية لرعاية البيئة.

والأشكال التالية توضح ماسبق :

شكل بياني رقم (١/١)
مبدأ الحد من الإسراف

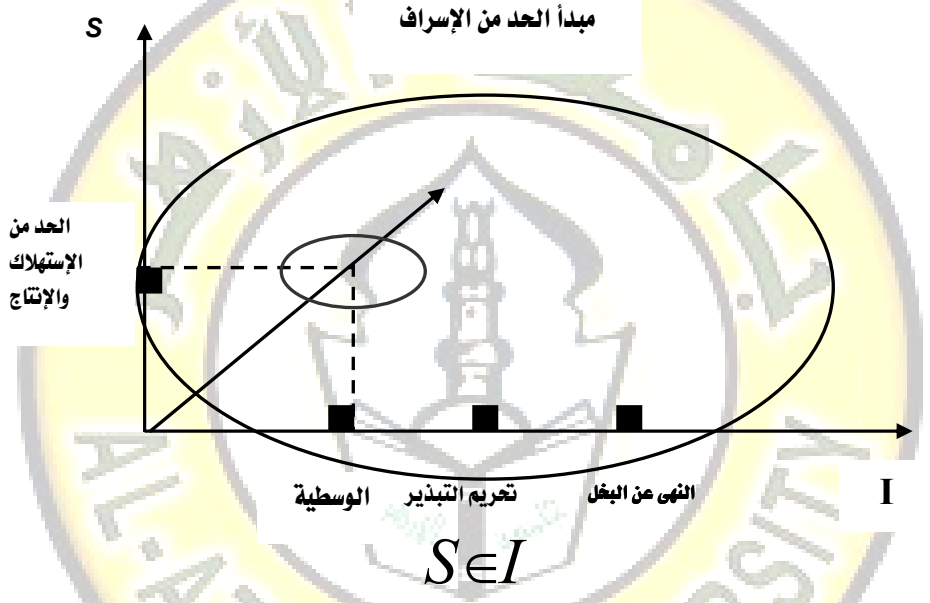

$$S \in I$$

شكل بياني رقم (١/٢)
مبدأ التعاون الدولى

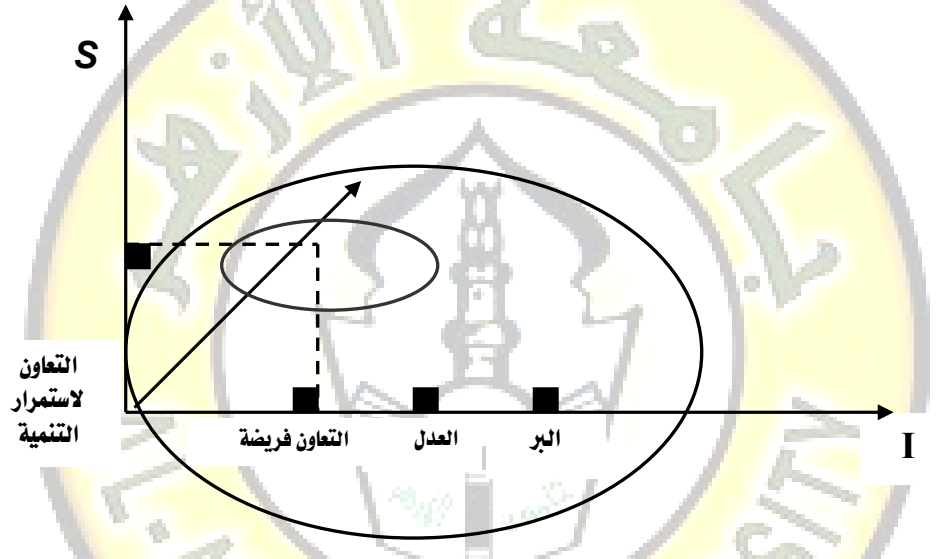

$$S \in I$$

شكل بياني رقم (١/٣)
مبدأ مراعاة حقوق الجوار

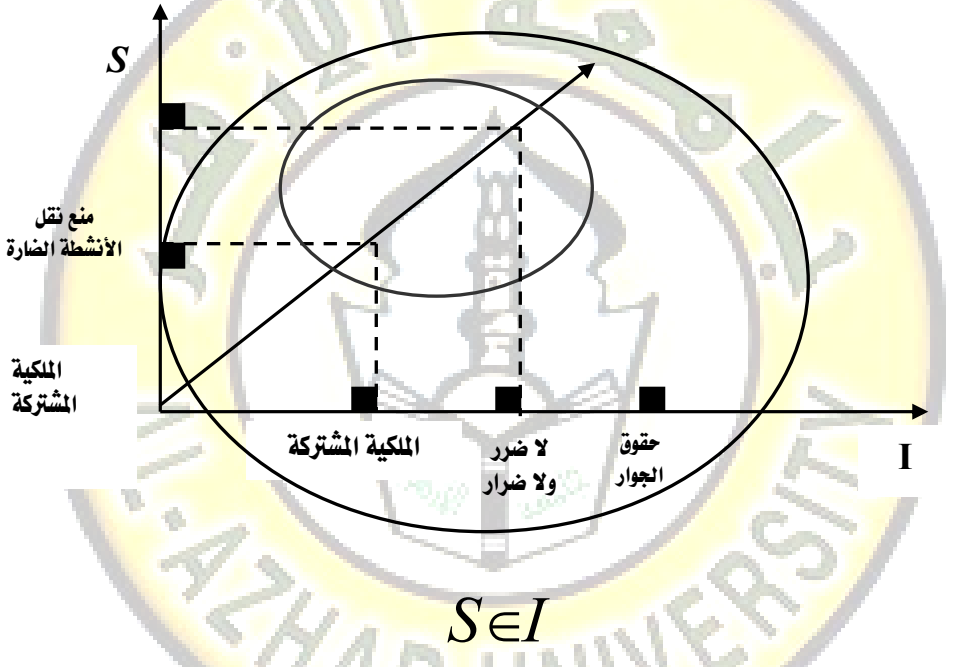

$$S \in I$$

شكل بياني رقم (١/٤)
مبدأ مكافحة الفقر

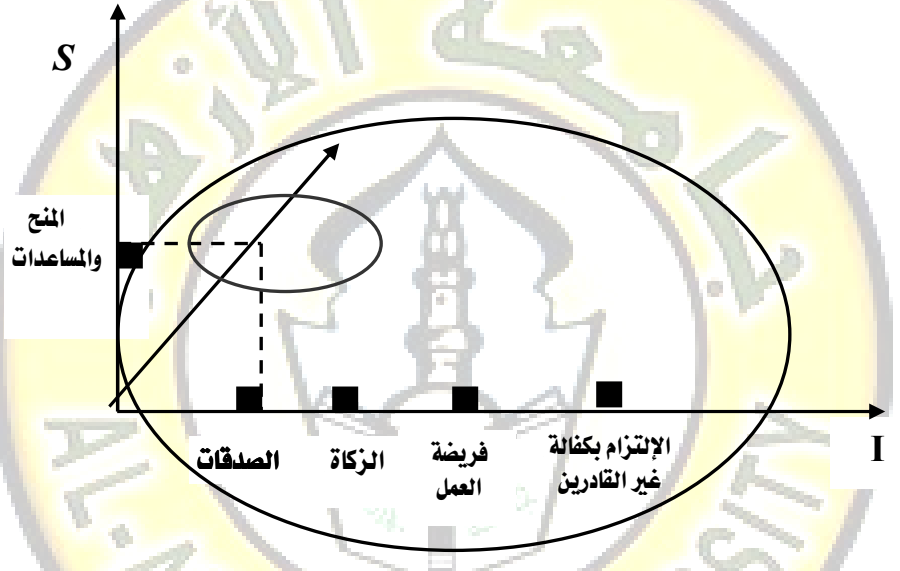

$$S \in I$$

شكل بياني رقم (١/٥)
مبدأ مسئولية الملوث

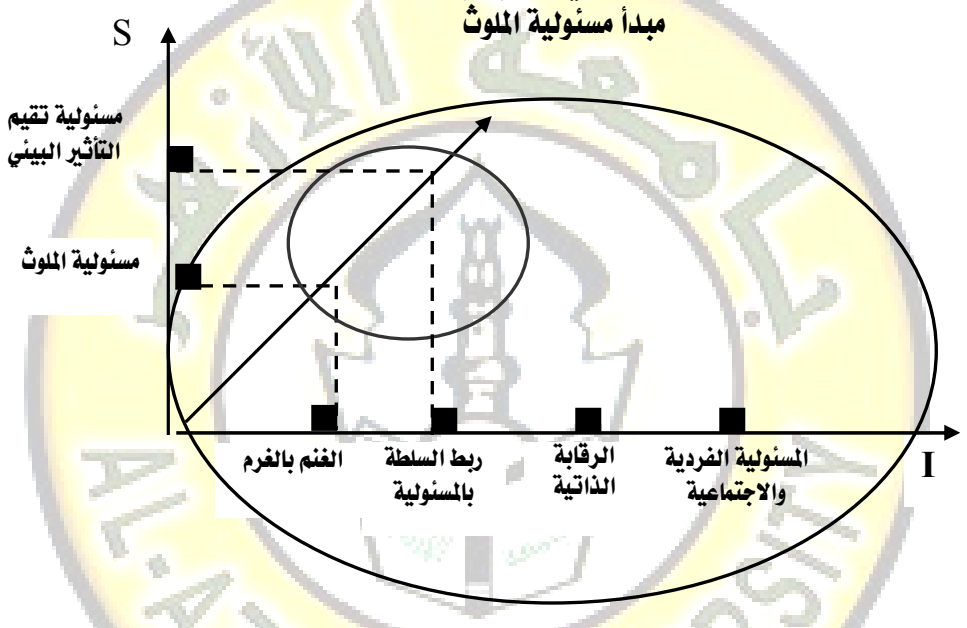

$$S \in I$$

شكل رقم (١/٦)
مبدأ السلام الدولي

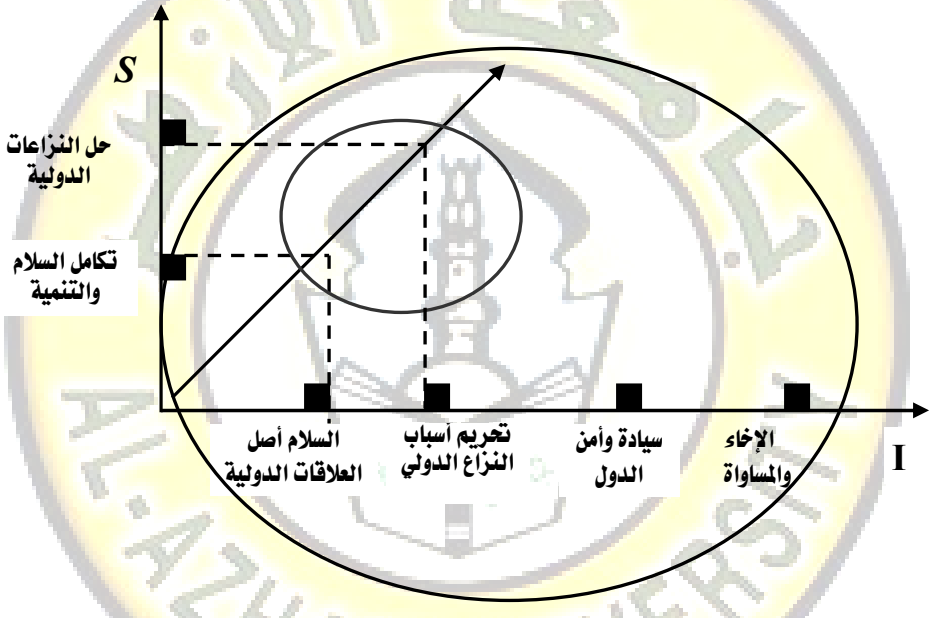

$$S \in I$$

يتضح من الأشكال البيانية رقم (٢/١ ، ٢/٢ ، ٢/٣ ، ٢/٤ ، ٢/٥ ، ٢/٦) أن العلاقة بين المبادئ البيئية في النظم الوضعية و بين المبادئ البيئية في المنظور الإسلامي تأخذ شكل العلاقة $S \in I$ وبالتالي يتم رفض فرض العدم H_0 وقبول الفرض البديل H_1 : يوجد اختلاف جوهري بين المبادئ الإسلامية لرعاية البيئة وبين المبادئ البيئية الدولية.

والشكل ٧/ ١ يوضح العلاقة بين المبادئ البيئية الإسلامية و المبادئ البيئية في النظم الوضعية طبقا للعلاقة $S \in I$: شكل رقم

(٧/ ١) : العلاقة بين المبادئ البيئية الإسلامية والمبادئ البيئية في النظم الوضعية

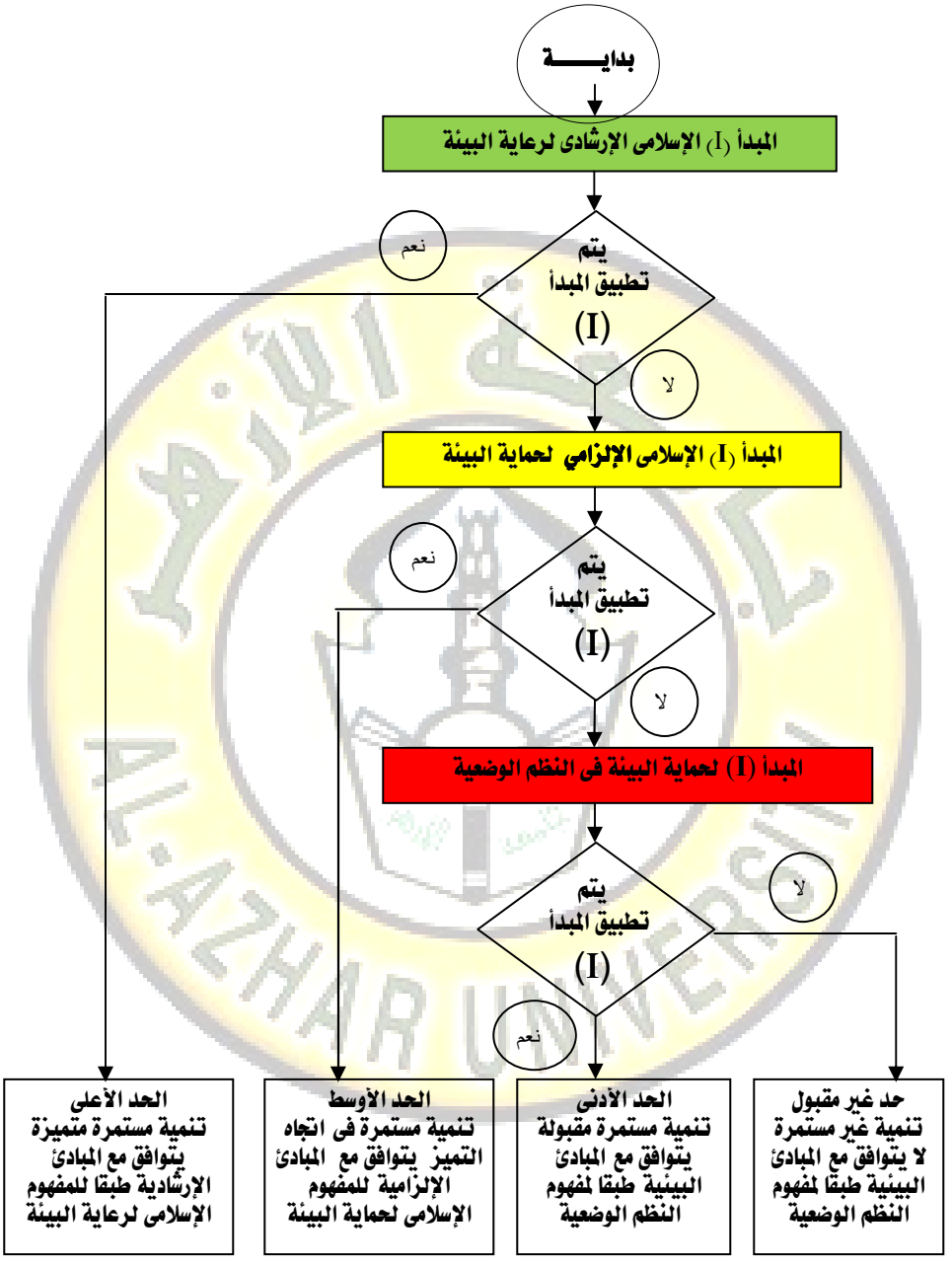
بدايـــــة
المبدأ (I) الإسلامى الإرشادى لرعاية البيئة
يتم تطبيق المبدأ (I)
نعم
لا
المبدأ (I) الإسلامى الإلزامي لحماية البيئة
يتم تطبيق المبدأ (I)
نعم
لا
المبدأ (I) لحماية البيئة فى النظم الوضعية
يتم تطبيق المبدأ (I)
لا
نعم
الحد الأعلى تنمية مستمرة متميزة يتوافق مع المبادئ الإرشادية طبقا للمفهوم الإسلامى لرعاية البيئة
الحد الأوسط تنمية مستمرة فى اتجاه التميز يتوافق مع المبادئ الإلزامية للمفهوم الإسلامى لحماية البيئة
الحد الأدنى تنمية مستمرة مقبولة يتوافق مع المبادئ البيئية طبقا لمفهوم النظم الوضعية
حد غير مقبول تنمية غير مستمرة لا يتوافق مع المبادئ البيئية طبقا لمفهوم النظم الوضعية

يتضح من الشكل ٧/ ١ :

أن المبادئ الإسلامية الإرشادية لرعاية البيئة (الحد الأعلى فى المنظور الإسلامى) تحقق تنميه مستمرة متميزة.

وأن المبادئ الإسلامية الإلزامية لحماية البيئة (الحد الأدنى فى المنظور الإسلامى) وتمثل الحد الأوسط تحقق تنميه مستمرة فى اتجاه التميز.

وأن المبادئ البيئية فى النظم الوضعية تحقق تنمية مستمرة مقبولة وهى الحد الأدنى، وهذا ما أوضحته الدراسة التحليلية للمبادئ البيئية الستة.

وقد أكد التقرير الأخير الصادر عن الأمم المتحدة عن تدهور البيئة فى المؤتمر الأخير لقمة الأرض أن حد التنمية في المجتمعات الحالية حد غير مقبول أي تنمية غير مستمرة لا تتوافق مع الحد الأدنى من المبادئ البيئية طبقاً لمفهوم النظم الوضعية.